كلمة الحياة

كانون الأوّل/ ديسمبر 2022

"تَوَكَّلوا على الرَّبِّ لِلأَبَد فإِنَّ الرَّبَّ هو صَخرَةُ الدُّهور" (إشعيا 26، 4)

كلمة الحياة التي نودّ أن نعيشها هذا الشهر مأخوذة من سفر النبيّ إشعيا، وهو نصّ موسَّع وغنيّ، يحرص عليه التقليد المسيحيّ كثيرًا. بالفعل، إنّه يحتوي على صفحات محَبَّبة جدًّا كالإعلان عن عِمّانوئيل، أي "الله معنا"[1]، أو صورة العبد المتألِّم[2] الذي يشكّل خلفيّة النصوص التي تروي آلامَ يسوع وموتَه.

تشكّل هذه الآية جُزءًا من نشيد شكر وضعَهُ النبيّ على لسان شعب إسرائيل بعد أن اجتاز محنةَ النفي الرهيبة، وعاد أخيرًا إلى أورشليم. كلماتُه تفتح القلوب على الرجاء، لأنّ حضورَ الله إلى جانب إسرائيل حضورٌ أمين، كالصخرة لا يتزعزع؛ فالله نفسُه يسنُد كلّ جُهد يبذلُه الشعب في إعادة البناء المدنيّة والسياسيّة والدينيّة.

وفي حين أنّ المدينةُ التي تعتقد نفسها "منيعة" "ستُحَطّ إلى الأرض"[3]، إذ إنّها غير مبنيّة بحسب مشروع محبّةِ الله، فإنّ تلك المبنيّةَ على صخرةِ القُرب من الله سوف تنعم بالسلام والازدهار.

"تَوَكَّلوا على الرَّبِّ لِلأَبَد فإِنَّ الرَّبَّ هو صَخرَةُ الدُّهور"

كم هي حاليّة هذه الحاجة إلى الاستقرار والسلام! نحن أيضًا، شخصيًّا وجماعيًّا، نمرّ بأوقات قاتمة من التاريخ تهدّدُ بسحقِنا تحت وطأة الشكّ والخوف على المستقبل.

ما العمل كي نتخطّى تجربة الإحباط أمام صعوبات الحاضر، والانغلاق على أنفسنا، وتنمية مشاعر الشكّ وعدم الثقة تجاه الآخرين؟

كمسيحيّين، الإجابة هي بالتأكيد "أن نعيد بشجاعةٍ بناءَ" علاقةِ الثقة مع الله أوّلاً، هو الذي بيسوع جعل نفسَه قريبَنا على طرقات الحياة، وحتّى تلك الأشدّ ظلمة وضيقًا وتعرّجًا وانحدارًا.

إلّا أنّ هذا الإيمان لا يعني أن ننتظر بشكل سلبيّ. لا بل بالعكس يتطلّب منّا أن نجهد ونسعى كي نكون روّادًا خلّاقين ومسؤولين في عمليّة بناء "مدينة جديدة"، مؤسَّسة على وصيّة المحبّة المتبادَلة. مدينة أبوابُها مشرَّعة، تستقبل الجميع، وخصوصًا "البائسين والضعفاء"[4]، الذين لطالما كانوا المفَضَّلين عند الربّ.

---

[1] راجع إشعيا 7، 14 ومتّى 1، 23.

[2] راجع إشعيا 52، 13 - 53، 12.

[3] راجع إشعيا 26، 5.

وفي هذه المسيرة نحن متأكّدون من إيجاد رفقاءَ لنا في العديد من الرجال والنساء الذين يُنَمّون في قلوبهم القِيَمَ العالميّة للتضامن ولكرامة كلّ إنسان، ويحترمون الخليقة، "بيتنا المشترك".

"تَوَكَّلوا على الرَّبِّ لِلأَبَد فإِنَّ الرَّبَّ هو صَخرَةُ الدُّهور"

في قرية "ألخوسير" الإسبانيّة، تلتزم جماعة محليّة بكلّيّتها في بناء علاقات أخوّة من خلال عدّة أشكال من المشاركة المنفتحة والشاملة.

يخبروننا: "في صيف 2008، أنشأنا جمعيّة ثقافيّة تهدُف إلى القيام بنشاطات متنوّعة، بعضها نبادر نحن بها، والبعض الآخر نتعاون فيها مع جمعيّات أخرى من المنطقة، وذلك لتعزيز فسحاتِ حوار ومشاريعَ إنسانيّةٍ دَوليّة.

على سبيل المثال، منذ السنة الأولى، أقمْنا عشاءَ تضامن من أجل مشروع 'الأخوّة مع إفريقيا'، لتمويل منحٍ دراسيّة لشباب إفريقيّين ملتزمين بالعمل في بلدهم لخمس سنوات على الأقلّ. إنّها حفلاتُ عشاء تجمع حوالى مئتَي شخص، يتعاون في إحيائها تجّار وجمعيّات.

نحن سعداء جدًّا بالعمل أيضًا منذ سنوات مع جمعيّة أخرى. ننظّم معًا حدثًا سنويًّا مفتوحًا لشخصيّات من عالم الثقافة والموسيقى والرسم والأدب، وكذلك لعارضين من عالم السياسة والاقتصاد والطبّ. إنّها مناسبة للجميع للمشاركة بخبرات الحياة والدوافع العميقة لخياراتهم"[5].

"تَوَكَّلوا على الرَّبِّ لِلأَبَد فإِنَّ الرَّبَّ هو صَخرَةُ الدُّهور"

نحن بانتظار عيد الميلاد. فلنتحضّر له مستقبلين منذ الآن يسوع في كلمته.

كلمتُه هي الصخرة التي نبني عليها مدينةَ البشر: "فلنُجسّدْها ونتبنّاها، ولنختبرْ فينا ومن حولنا، إذا عشناها، طاقةَ الحياة المخزّنة فيها. ولنُغرَمْ بالإنجيل إلى درجة تركْ أنفسَنا تتحوّل إلى إنجيل وتَفيض به على الآخرين. [...] فلا نعود نحن من يعيش، بل يتكوّن المسيح فينا. وعندها سنلمس لمسَ اليد معنى التحرّر من ذواتنا، ومن محدوديّاتنا، ومن عبوديّتنا، لا بل سوف نرى ثورةَ المحبّة تتفجّر، تلك الثورة التي يُحدِثها يسوع في النسيج الاجتماعيّ الذي ننتمي إليه، عندما نتركه يعيش فينا بحريّة "[6].

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

---

[4] راجع إشعيا 26، 6.

[5] اختبار مأخوذ من موقع الفوكولاري الالكترونيّ www.focolare.org.

[6] كيارا لوبيك، كلمة حياة أيلول/ سبتمبر 2006.